

# إمبراطورية العار

تأليف: جان زيجلر

ترجمة: الأب إلياس زحلاوي

## Contents

5.....	فضح الرأسمالية وأساليبها:.....
6.....	جان زيجلر يحذر من عودة الإقطاع:.....
7.....	سلاح الدمار الشامل: الديون والجوع.....
8.....	جان زيجلر يدعو للثورة:.....
9.....	العنف البنيوي - الحرب على الإرهاب:.....
10 .....	آليات الهيمنة الغربية على العالم:.....

## إمبراطورية العار

تأليف: جان زيجلر

ترجمة: الأب إلياس زحلاوي

-عنوان الكتاب: إمبراطورية العار (سادة الحرب الاقتصادية – الإقطاعيون الجدد)

-المؤلف: جان زيجلر

-المترجم: الأب إلياس زحلاوي

- الناشر: الهيئة العامة للكتاب وزارة الثقافة دمشق 2015

عدد الصفحات: 312 صفحة.

-الطبعة الأولى 2015

يدعو كتاب إمبراطورية العار لمؤلفه المفكر جان زيجلر لمناهضة الرأسمالية باعتبارها السبب الرئيس لشقاء العالم، وجوع الإنسان، والتسبب في كوارث الموت وسوء التغذية وانتشار الأمراض والطريق إلى كل أنواع التهلكة، وباعتبار أن هذه الكوارث تتم عن عمد، فهي حرب اقتصادية وأحياناً عسكرية بالمعنى الحقيقي وليس المجازي يدبرها ويقودها السادة الإقطاعيون الجدد، ومن ثم فهي تستحق حرباً مضادة ينخرط فيها كل سكان العالم المتضررين من آثار تلك الرأسمالية والعلمة، وهم أغلب سكان العالم تقريباً.

جان زيجلر المفكر والكاتب السويسري باحث وسياسي وعالم اجتماع وأستاذ بجامعة جنيف والسوربون بباريس ولد سنة 1934. عمل ثمانين سنوات مقرراً خاصاً لبرنامج الغذاء في الأمم المتحدة. ألف العديد من الكتب ترجم بعضها إلى اللغة العربية منها: ضد النظام العالمي (1983)، أمناء الجريمة (1998)، كتاب الرأسمالية الأسود (1998)، سادة العالم الجدد (2002)، إمبراطورية العار (2005)، كراهية الغرب (2008). وغير ذلك من الكتب والمقالات أهمها: (الغرب والإسلام، الغرب والعالم الثالث، التطرف في العالم الإسلامي، أمريكا وصراعات الشرق الأوسط، الدول الصاعدة والنموذج الصيني). 1

---

<sup>1</sup> - جان زيجلر: الأنظمة الغربية تخلق من الإسلام عدواً وهما، حوار مع مركز الجزيرة للدراسات، : <http://www.alukah.net/culture/0/25050/#ixzz4VUIDsUvP>

شغل جان زيغлер منذ عام 2009 منصب نائب الرئيس للجنة المجلس الاستشاري لحقوق الإنسان في الأمم المتحدة، وعضوًا في لجنة رعاية محكمة راسل حول فلسطين منذ آذار/مارس 2009، أنجز زيغлер عدة مؤلفات حول العالم الثالث والعلمة، (والتي يُدين فيها بشدة ما يعتبره جرائم ترتكب باسم التمويل العالمي والرأسمالية، ويوجه فيها انتقادات حادة خاصة لصندوق النقد الدولي الذي يشترط في مساعداته المالية خضوع الدول النامية لخخصصة الخدمات العامة مما يؤدي غالباً إلى تدهور خدماتها مع ما ينتج عن ذلك من عواقب وخيمة على الصحة والتغذية للدول الفقيرة، كما يتهم الولايات المتحدة بكونها اليد الحديدية التي تحمي الشركات المتعددة الجنسيات، ويتجلى ذلك بوضوح في سياستها الخارجية ورفضها للعديد من الاتفاقيات الدولية الرامية إلى تحقيق ولو الشيء اليسير من العدالة للمعذبين في الأرض.

وأكَدَ أنَّ ما يُلْقَى في حاويات القمامَة من الغذاء في الدول الغنية يعادل ما يحْتاجه افْرَادُ الشَّعْبِ في الدول الفقيرة من الغذاء. من أشهر مؤلفاته: سويسرا الذهب والأموات، أرباب الجريمة، الثوار ضد النظام العالمي، الكتاب الأسود للرأسمالية، سادة العالم الجدد، إمبراطورية العار، كراهية الغرب. لقد اثارت كتبه شهية النقاد في أوروبا ودول العالم المختلفة.<sup>2</sup>

صدر كتاب "إمبراطورية العار" تأليف جان زيغлер في نسخته الأصلية باللغة الفرنسية عام 2005 بباريس عن مطبعة أرتيم فايارد (376 صفحة)، ترجمه إلى اللغة العربية الأب إلياس زحلاوي، منشورات الهيئة العامة للكتاب وزارة الثقافة دمشق 2015 عدد الصفحات 312 صفحة. يؤكِّد جان زيغлер في كتابه إمبراطورية العار أنَّ العالم يشهد حاليًّا حركة كبيرة لإعادة استحكام نظام الأقطاع (الفيودالية) الذي ساد العالم في القرون الوسطى، هذا النظام الاقتصادي والاجتماعي والسياسي الذي ظهر بأوروبا خلال القرون الوسطى لحماية وضمان استمرار مكانة وامتيازات طبقة النبلاء والأسيداء، وتميز باختفاء مفهوم الدولة والمواطنة مع سيادة تراتبية طبقية اجتماعية على رأسها فئات الأسياد التي كانت تمتلك امتيازات كبرى تتقاسم جزء منها مع الملوك، في حين شُكِّل الفرسان أداة لجمع الضرائب واستغلال (العبيد) الأقنان في أعمال السخرة.

يضم كتاب إمبراطورية العار، خمسة أبواب هي: (الحق في السعادة، أسلحة الدمار الشامل، الاستنراف والتضامن، سبل التحرر، عودة النظام الإقطاعي)، بالإضافة إلى تمهيد وخاتمة.

<sup>2</sup> - قراءة في كتاب إمبراطورية العار:  
[http://diffaf.blogspot.com/p/blog-page\\_17.html](http://diffaf.blogspot.com/p/blog-page_17.html)

القسم الأول – الحق في السعادة، ويتحدث المؤلف حول شبح الحرية والندرة المنظمة والعنف البنوي واحتضار القانون والبربرية ومرآتها. ص ص 37 – 86

القسم الثاني – في أسلحة المار الشامل، وهي في رأي المؤلف الديون التي تُفرق الدول الفقيرة، والجوع في معظم الدول النامية. الذين والجوع هما سلاحا التدمير الشامل، اللذين يستخدمهما سادة العالم، ليستعبدوا الشعوب، ويسرقوا قوة عملهم وموادهم الأولية ومصادر الطاقة وأحلامهم. ص ص 148 - 87

القسم الثالث – الحبشه الإنهاك والتضامن، عرض المؤلف في هذا القسم سقوط دكتاتورية الماريشال هيلي مانغستو العسكرية وانتصار مقاتلي الجبهة الشعبية لتحرير التيجرية، والجماعة الخضراء، والمقاومة. ص ص 149 - 184

القسم الرابع – البرازيل، طرق التحرر، استعرض المؤلف تجربة رئيس البرازيل لولا دي سلفا، الذي ما كان لسيرورة الثورة البرازيلية الحالية، أن تتخذ المنحى الذي تعرف به اليوم. وبرنامج إلغاء الجوع وشبح الرئيس سلفادور أليندي. ص ص 185 - 230

القسم الخامس – إعادة بناء الإقطاع في العالم ، الإقطاعيات الرأسمالية ، الإفلات من العقاب ، تحطيم المنافسة غير الشريفة لما هو حي، أخطبوط (فيفيه) تحطيم النقابات، البقرات السمان خالدة، الغطرسة ، حقوق الإنسان أمر جيد، هل السوق أفضل منها، ص ص 231 - 296

الخاتمة – إعادة الكرة ص ص 297 - 303

يتضمن الكتاب وصفاً لاستخدام جريمة 11 أيلول / سبتمبر 2001 من قبل حكومة الولايات المتحدة الأمريكية والشركات متعددة الجنسية كذرية لاحتلال العالم والسيطرة على مقدراته. يحزن زيغлер للضحايا الذين قضوا جراء الحرب الأخيرة على لبنان ( عام 2006 )، ويصف الحرب بأنها ( مأساة إنسانية للبنان وإسرائيل ). ويتبع: ( أرفض أن يوصف حزب الله بالإرهاب، إنه حركة مقاومة وطنية، وعندما تقشل كل الجهود لتحرير الأسرى بالطرق الدبلوماسية، أستطيع أن أتفهم قيام هذه الحركة باحتجاز جنود لمبادلتهم، لكن ما لم استطع فهمه حتى الآن هو رد الفعل الإسرائيلي على حادثة أسر جنديين ). 3

---

<sup>3</sup> - صحيفة الأخبار، بسام القطار، جان زيغлер: إمبراطورية العار أشعلت الحرب على لبنان.  
<http://www.al-akhbar.com/node/162584>

( إن النظام العالمي ، الاقتصادي والاجتماعي والسياسي ، الذي بنته الرأسمالية السارقة ، ليس قاتلاً وحسب ، بل هو أيضاً عثي .

إنه يقتل ، ولكنه يقتل دونما ضرورة .

ولهذا يجب أن يحارب بشكل جذري .

وكتابي هذا يريد أن يكون سلاحاً في المعركة ) ص 15

يؤكد تقرير منظمة الغذاء العالمية (FAO) ، أن الزراعة العالمية ، في الوضع الراهن لتطور القوى الإنتاجية ، تستطيع أن توفر الغذاء بصورة طبيعية (أي بما يقدم 2700 حريرة باليوم لكل إنسان بالغ) لـ (12) مليار إنسان ! ونحن ، اليوم ، نعد (6) مليارات ومائتي مليون إنسان . باختصار : ليس هناك إذن من قدر محظوم . وإن كل طفل يموت جوعاً ، هو طفل قد قُتل !

في سنة 2008 ، تجاوز شراء الأسلحة لأول مرة ألف مليار دولار وسيطرت الولايات المتحدة الأمريكية على 41% من هذا المبلغ الهائل . بينما كان نصيب الصين 11% . والنمو الاقتصادي لا يعني شيئاً كبيراً حينما يتعرض المجتمع إلى التفكك . والصين تتعرض إلى هذا التفكك حيث إن العمل يتم استغلالهم بشكل فضيع ... في المناطق الصناعية في الجنوب . ولا اعتقاد أنه سيحدث فيها نفس الشيء مثلما حدث في الاتحاد السوفيتي ... لقد وضع الرئيس الصيني الأسبق دينغ كسياو بنغ بلاده رهينة للرأسمالية وقضى على الامتيازات الاجتماعية للطبقات العاملة وال فلاحين .

في بلاد نصف الكرة الجنوبي تمتلئ المدافن الجماعية بضحايا الأوبئة والجوع يوماً بعد يوم ، كما يعاني الغرب نصف الكرة الشمالي من التخمة والبطالة ، ويعمل التخلف الاقتصادي على الزج بالبشر في سجن كبير . فهو يسجّنهم في وجود يائس ، الهروب منه مستحيل ، والمعاناة غير نهائية ، ولا تستطيع إلا قلة قليلة نشر قضبانه والهروب ، وهو سجن أبدي يأخذ حلم الحياة الأفضل فيه ملامح حلم مستحيل ، وتعتبر فيه الكرامة الإنسانية وهمأً وألم الحاضر أبدياً ولا يسمح بأي أمل .

#### **فضح الرأسمالية وأساليبها:**

لعل أهم ميزات الكتاب الرئيسية أنه استند إلى كم هائل جداً من الأمثلة والأحداث التي تقضي بالممارسة الرأسمالية ولكن في إطار عاطفي ومفكك وغير منظم ، ربما كانت العاطفة تغلب على المؤلف ، وربما كانت هذه طريقة معتمدة في الكتابة لإحداث تأثير عاطفي على الناس ليثوروا على الرأسمالية ويناهضوها .

تعتبر الاختيارات محدودة في النظام الرأسمالي النهاب الذي يزدهر على حساب تجويح الشعوب وتکبيل الدول الفقيرة بالدين ، فـإما أن يتصرف سيد الأرض ، الحاكم الكوني بإنسانيته - وهذا غير واقعي -

فتنهار إمبراطوريته، وإما أن ينساق مع الشيطان ويتصرف بشراسة وجشع - وهذا يحدث فعلاً- فتسقط جثث الفقراء تحت قدميه، ولا يوجد أي خيار آخر فمن الصعب على الحكم الكوينيين -الإقطاعيون الجدد - أن يختاروا طريق التعاطف مع الشعوب الفقيرة والخروج من اللعبة. ص 248

في عام 2007 مثلاً لقي 36 مليون شخص حتفهم بسبب الآلام المبرحة أو الجوع أو نتيجة تداعيات بعض الأمراض، وسيلفى آخرون حتفهم بسبب نقص الدواء، أو بسبب أوبئة نجح الطب في علاجها منذ زمن بعيد، كما ستدمّر المياه الملوثة تسعه ملايين طفل دون العاشرة، وسوف يحول المسكن غير الصحي والفتان واليأس والقذارة حياة ملايين الأمهات جحيناً، وسوف تقضي البطالة الدائمة أو المؤقتة والخوف من المستقبل على كرامة ملايين من الرجال والآباء . لماذا هؤلاء ولماذا لا أكون أنا في هذه الظروف، كان يمكن أن تكون الضحية زوجتي أو ابني أو أمي أو صديقي أو أيّاً من أقاربي أو من الذين أحبهم، هؤلاء الضحايا الذين يقتلون بعشرات الملايين كل عام، هم ضحايا ما يطلق عليه (بابوف) القوانين الفظة، ولا يفصلني عن هؤلاء الشهداء إلا صدفة ميلادي.

والمهمة الأولى لأي رجل فكر محترم، هي نشر هذه المعلومات وتوضيح ممارسات السادة الإقطاعيين الجدد، فهم مصاصو دماء يخسون ضوء النهار كما يخسون الطاعون.

ويتعاطف المؤلف مع الشباب الأفريقي الذين يتربّون بلادهم كل عام ويغادرون بحثاً عنهم من أجل محاولة الوصول إلى أوروبا ويعتبر أن عدم إنقاذ الغرقي من هؤلاء، أو إطلاق الرصاص على من يصل منهم إلى الشواطئ الأوروبية، جريمة أوروبية تجعل من أوروبا إمبراطورية للعار. "إن الإجراءات التي تتخذها الدول الأوروبية السبع والعشرون ضد سيل المهاجرين الأفارقة هي -في حقيقة الأمر- إجراءات حرب بمعنى الكلمة بين هذه القوة العالمية، وبين هؤلاء الشباب الأفارقة من القرويين أو الحضريين، الذين لا يملكون أي وسيلة دفاع، والذين تتمهن حقوقهم في التعليم والتوعية الاقتصادية والعمل والغذاء بأسلوب منظم في بلادهم الأصلية. إن هؤلاء الشباب هم ضحايا لقرارات واختيارات اقتصادية شمولية ليسوا مسؤولين عنها، ورغم ذلك فإنهم يُطردون ويطاردون وبهانون عندما يحاولون البحث عن مخرج من أزمتهم من خلال الهجرة".

جان زيجلر يحذر من عودة الإقطاع: ص ص 231 - 248

على عكس التسلسل الماركسي المعروف والصاعد من الرق إلى الإقطاع إلى الرأسمالية إلى الشيوعية، وغير القابل للعودة إلى الخلف، يحذر المؤلف جان زيجلر من عودة مرحلة الإقطاع من جديد على أساس أن تصبح علاقات الإنتاج سخرة وعبيد وأماء، وهو ما يتم الآن عن طريق زيادة أسعار المنتجات الرأسمالية وخفض أسعار المواد الخام ومصادر الطاقة التي تنتجهما الشعوب الفقيرة،

ومن ثم زيادة الديون على الدول الفقيرة باستمرار، وتعويض النقابات العمالية باضطراد وتحدي القوانين في جميع أنحاء العالم بوقاحة والإفلات من العقاب رغم ارتكاب كل الجرائم وخرق مبادئ حقوق الإنسان. أي الحكم من السادة الإقطاعيين الجدد كما يسميهم جان زيجلر بالأسعار والديون والحروب ومن ثم إخضاع العالم كله لنوع من الرق الجماعي.

أتاح النظام الإقطاعي (الفيودالي) الحداثي الجديد للرئيس الأمريكي 'جورج دبليو بوش' بعد أحداث 11 أيلول/سبتمبر 2001 توسيع نفوذ الولايات المتحدة الأمريكية، وفتح الأبواب على مصاريعها للشركات العابرة للقارات كي تُرخي بظلالها على الشعوب الفقيرة والمغلوبة على أمرها في النصف الجنوبي من الكره الأرضية وتفعل بها ما تشاء. ص 23

#### سلاح الدمار الشامل: الديون والجوع (الدين ص 87، الجوع ص 118):

من أجل فرض هذا النظام الفريد من نوعه إخضاع واستعباد الشعوب لمصالح الشركات الخاصة الكبيرة، ولتحقيق ذلك كما يعرف جيداً أسياد إمبراطورية العار يجب اللعب بمهارة واحترافية عالية بسلاحي الدمار الشامل: الديون والجوع (الدين ص 87، الجوع ص 118)، فعن طريق الديون تتنازل الدول المستضعفة عن سيادتها من بعدها تغرق حتى الأذنين في مستنقع هذه الديون، وعن طريق المague الناجمة عن ذلك تبدأ الشعوب بالاحتضار، ثم ما تلبث تحت الضغوط الهائلة أن تتخلى عن حريتها وكرامتها مقابل كسرة خبز وجرعة ماء. هذه الماكينة الهائلة للسحق والإخضاع لا تأبه مطلقاً بالقيود التي يزعم القانون الدولي أنه يفرضها تقليدياً في العلاقات بين الدول والشعوب، لذلك ساد نظام العنف البنيوي الدائم، وبدأ يزحف على مساحات كبرى بدول الجنوب المستضعفة، بينما القانون الدولي يحضر ويزداد احتضاراً. ص 92 - 93 - 94

المبشرون بالعلمة وبالنظام العالمي الجديد وبالحكومة العالمية الواحدة، رويداً رويداً خصصوا حتى المياه التي يجب على الشعوب أن تدفع المزيد للحصول عليها؟

يتبع المؤلف في هذا الكتاب طرق المبشرين الأكثر مكرأً وخداعاً: هنا قانون للبراءة على الكائن الحي، وهناك كسرٌ لمقاومة نقابات العمال، وفي أماكن أخرى فرض بالقوة للزراعات المعدلة وراثياً. إنها إمبراطورية العار التي تم فرضها على كوكب الأرض، ولكن مآل الثورة تم تأسيسه على العار، كما علمنا متربدو 1789، وهذه الثورة مستمرة: تمرد للضمان هنا، وتمرد على الجوع هناك، هي وحدها الكفيلة بإعادة بناء الحق في السعي نحو السعادة، هذه القضية القديمة التي تعود إلى القرن الثامن

عشر. ص ص 275 - 283

مع بداية الألفية الثالثة (في نهاية القرن العشرين وبداية القرن الحادي والعشرين)، تلقى الإنسان إهانة بالغة لم يكن تخيلها ممكناً منذ خمس سنوات، ولا تتحمل هذه الإهانة أي دولة قومية أو أي منظمة فوق قومية أو أي حركة ديمقراطية، فقد أحكم أمراء الحرب الاقتصادية السيطرة على الكوكب، فهم يهاجمون الدول وسيادتها ويعارضون السيادة الشعبية ويدمرون الديمقراطية ويتلفون الطبيعة ويدمرون الإنسان ويقضون على حقوقه، إنهم يحاربون جذرياً حق الإنسان في البحث عن السعادة، ولا تستطيع أي سلطة أو دولة أو نقابة التصدي لقوتهم الساحقة. ص 291

ويرى المؤلف نفسه وينقل عن آخرين يشاركونه نفس الرأي أنه لا يوجد شيء مشترك بين الشعب وأعدائه إلا السيف، السيف الذي يفرق ويقطع، بيد أن الحق في السعادة، وفي الكرامة وفي الغذاء وفي الحرية هو جوهر الإنسان نفسه، وهو ما يجعل من الإنسان إنساناً، وأن الحق في الحياة واحد وأساسي ويعني كل إنسان لمجرد أنه إنسان. (يجب أن يبدأ الناس في الثورة من جديد لأن هناك تناقضًا جذرياً بين العدالة الاجتماعية الكونية وبين السلطة الإقطاعية أيًّا ما كانت، لا يمكن للإنسان أن يقهر الوحدة واليأس أو أي ألم من الآلام الكثيرة التي يتعرض لها إلا بالثورة عليها). ويضيف المؤلف داعياً إلى الثورة:

ما العمل إذن تجاه استغلال الحكام الكونيين والعنف الذي يثيره أتباعهم وسخريتهم من حق الإنسان في البحث عن السعادة؟ يجب أن يبدأ الناس في الثورة من جديد لأن هناك تناقضًا جذرياً بين العدالة الاجتماعية الكونية وبين السلطة الإقطاعية أيًّا ما كانت، ولذلك تظل الحرب بينهما دائمة، لا يمكن للإنسان أن يقهر الوحدة واليأس أو أي ألم من الآلام الكثيرة التي يتعرض لها إلا بالثورة عليها. مع أن المؤلف لم يحدد لنا أي طريق لهذه الثورة، فهل هي هبات عفوية بلا تنظيم ولا أيديولوجية، ولم يتوجه المؤلف إلى طبقة العمال مثلاً مثل كارل ماركس، بل دعا كل إنسان مظلوم، وهذا بالطبع خروج على الماركسية وهو أمر جيد.

لم يحدد لنا المؤلف لماذا فشلت الماركسية؟ ولماذا فشل لاهوت التحرير المسيحي في أميركا اللاتينية؟ وهل هناك طريق حضاري وأيديولوجي آخر - خارج إطار الحضارة الغربية وأفكارها وفلسفتها التي ينتمي إليها المؤلف ذاته - يصلح أن يكون جذراً ثقافياً لتلك الثورة؟ وهل يمكن أن تصبح القيم الحضارية الإسلامية مثلاً الجذر الثقافي للثورة؟ باعتبار أن المنظومة الحضارية الإسلامية فيها انحياز واضح للفقراء وفيها مخالفة واضحة للطريق الرأسمالي، وفيها أيضاً تحريض على الثورة ورفض الظلم، وهي كذلك منظومة حضارية خارج إطار الحضارة الغربية ومن ثم تصلح لمواجهة

الرأسمالية التي هي إحدى إفرازات الحضارة الغربية، وتنتمي لنفس الأرضية الحضارية الأوروبية " التي يسميها المؤلف إمبراطورية العار ."

وبديهي أن حل المشكلة لا يمكن أن يكون استناده إلى أرضية التفكير التي أفرزت هذه المشكلة، وهناك قول مشهور للعالم الرياضي ألبرت أينشتين هو أنه إذا أردت حل مشكلة رياضية فلا تلجأ إلى نفس القوانين والقواعد التي أدت إلى حدوث هذه المشكلة!

### العنف البنيوي - الحرب على الإرهاب:

الحروب في إمبراطورية العار ليست عرضية بل دائمة ليست حالة مرضية، بل هي المعيار والقاعدة، ليست حالة من غياب العقل، بل هي سبب وجود الإمبراطورية أصلا. ويطلق المؤلف مصطلح "العنف البنيوي" على هذا النظام الجديد للكون وعلى هذه الممارسات الجديدة، فقد تحولت ممارسة أقصى درجات العنف إلى ثقافة في يومنا هذا، فهي تسود العالم وتظل قائمة بل إنها أصبحت التعبير العادي للإقطاعيات الرأسمالية في المؤسسات العسكرية وفي عالم الاقتصاد والسياسة. ص ص

65 - 57

حتى إن هذه الممارسة غدت في جوهر النظام العالمي، وبعيداً عن أن تكون ممارسة العنف الأقصى دلالة على خسوف عارض للعقل، صارت تنتج آلية نشأة الكون الجديد، وصارت تمثل نظرية مشروع عيته، كما أصبحت تنتج شكلاً جديداً ومتكرراً للأنماط على الجماعية والكونية وتدل عليه، وهي تكمن في قلب منظمة المجتمع الدولي، وتمثل هيكله، وبالمقارنة بالقيم المؤسسة لعصر التنوير، فإنها تشير إلى انهيار واضح لتلك القيم، التي يبدو أنها اختفت وبلا عودة.

أن الجماعات الإرهابية نشأت ردًّا طبيعياً على العنف الرأسمالي المنظم. "يجب أن نعلم أن المؤسسة هو منبت إرهاب الجماعات المتطرفة، وأن الذل والخوف والبؤس والجوع تمهد الأرض للأعمال الانتحارية وأنه في مقابل إرهاب الدولة ينشأ إرهاب الجماعات الصغيرة.

ويطرح المؤلف مفارقة بديهية، وهي أن تكاليف الحرب في العام الواحد تصل إلى تريليون دولار، في حين أن 58 مليار دولار فقط أي حوالي 1/20 من ميزانيات الحروب والقواعد العسكرية والإنفاق على التسليح، على حد تقدير برنامج الأمم المتحدة للتنمية لو أنفقت سنوياً لمدة عشر سنوات تكفي لتوفير التعليم الأساسي والرعاية الصحية الأساسية والغذاء المناسب والمياه الصالحة للشراب والبني التحتية الصحية لكل كائن بشري على وجه الأرض، ولكن الحرب العالمية على الإرهاب تعمي أبصار هؤلاء الذين يقودونها، هذه الحرب ليست لها عدو محدد، وليس لها نهاية متوقعة، إنها حرب ألف سنة.

## آليات الهيمنة الغربية على العالم:

منذ حوالي خمسة قرون مارس البيض سياسة وحشية في إطار ازدواجية الخطاب بين ما هو معن وبين ما يتم تنفيذه في أرض الواقع. ويمثل البيض اليوم نسبة 12.8% من السكان في العالم، أية أقلية، لكنهم يهيمنون على العالم، ومارسوا في الماضي الإبادة العرقية في أمريكا ضد الهنود الحمر ثم مارسوا تجارة العبيد لمدة 350 سنة واستعمروا أراضي غيرهم لمدة 150 سنة في إفريقيا وآسيا. واليوم يمكن أبشع نظام استغلال في دكتاتورية الرأسمال المالي المعلوم. ففي السنة الماضية وحسب البنك العالمي، فإن أكبر خمسة شركات خاصة عابرة للقارات سيطرت على أكثر من 52% من الناتج الإجمالي الخام العالمي. وتمتلك سلطة لم يمتلكها أحد سابقاً لا إمبراطور ولا ملك في تاريخ البشرية. وقد أدمجت هذه الأولغارشيات العالمية كل من الهند والصين في نفس النظام الاستغلالي. ص ص 48 - 50

وقد أدى ذلك إلى جنحها تللاً من الذهب يقابلها جبال من الجثث والشهداء. والآن على سبيل المثال، يموت في كل خمس ثوانٍ على الكثرة الأرضية طفل عمره أقل من عشر سنوات بسبب الجوع. ويموت 47 ألف شخصاً كل يوم بنفس السبب أي الجوع. ويعاني أكثر من مليار في العالم من سوء التغذية. رغم أن منظمة الزراعة العالمية تقول أن الأرض يمكن أن تطعم 12 مليار نسمة أي ضعف عدد سكان المعمورة الحالي. الاستنتاج هو أن النظام الكولونيالي يقتل البشر دون حاجة للقتل وهو نظام عبثي.

وأخيراً:

جون زيجلر مؤلف كتاب أمبرطورية العار، سوسيري خبير في التغذية والغذاء وأزمات الغذاء، يوصف بأنه من أكثر الخبراء في العالم دراية بأزمة الغذاء والجوع والفقر التي تحتاج العالم، ولد جون زيجلر في مدينة برن السويسرية عام 1934. درس القانون وعلم الاجتماع والاقتصاد والعلوم السياسية في جامعة برن وجامعة باريس وجامعة كولومبيا في ولاية نيويورك في الولايات المتحدة، حصل على درجة الدكتوراه في القانون ودرجة الدكتوراه في علم الاجتماع، عمل أستاذاً في جامعات عديدة منها جامعة باريس وجامعة السوربون وجامعة برنوبيل وجامعة جنيف. كان نائباً في البرلمان السويسري حتى العام 1999. شغل جان زيجلر منصب المفوض السامي لبرنامج الأمم المتحدة للحق في الغذاء في عام 2008.<sup>4</sup>

يعرف جان زيجلر عن نفسه بأنه ينتمي ثقافياً وسياسياً إلى «العالم الثالثية». وأكّد في مقابلة خاصة مع صحيفة «الأخبار» أنّ ما يصدر عنه من آراء لا يعبّر بالضرورة عن رأي الأمم المتحدة، ولا يرتبط

<sup>4</sup> - جون زيجلر ، من ويكيبيديا، الموسوعة الحرة.

بمهمته بوصفه مقرّراً خاصاً. يعرف زيغлер أن مهمته ترّجع إسرائيل، التي لم يزورها على غرار ما فعل الخبراء الأربع الذين كانوا قد وصلوا إلى لبنان الأسبوع الماضي، ضمن بعثة كلفها مجلس حقوق الإنسان مهمة تقصي الحقائق المتعلقة بانتهاكات حقوق الإنسان والقانون الدولي الإنساني خلال العدوان الأخير على لبنان. فلقد سبق وزار الأرضي المحتلة وقدم تقريراً عن الوضع المأسوي في الضفة الغربية وغزة، وأثار تقريره في حينها ضجة كبيرة أدت إلى قيام حملة شرسّة عليه من قبل منظمة أميركية صهيونية تسمى «منظمة مراقبة الأمم المتحدة». لكن ذلك لم يحل دون إعادة انتخابه قبل أشهر للمنصب نفسه نظراً للصدقية العالية التي يتمتع بها.

في إمبراطورية العار، التي تحكمها سياسة التجويع المنظم، لم تُعد الحرب حالة طارئة، بل هي حالة دائمة، وهي لا تشكّل أزمة وحالة مرحلية، بل وضعاً طبيعياً. وهي لم تُعد تُعتبر تغييباً للعقل، بل هي مبرر وجود هذه الإمبراطورية بالذات. فإن سادة الحرب الاقتصادية قد أخضعوا الأرض كلها لنقسيم مدروس: فهم يهاجمون السلطة الناظمة للدول، ويشكّون في سيادة الشعوب، ويفسدون الديمقراطيات، ويخرّبون الطبيعة، ويدمّرون البشر وحرياتهم. أما مرتكزهم الفلسفـي، فهو تعميم هذا الاقتصاد، ودسّ «يدهم الخفية» التي تحرك السوق، فيما الزيادة القصوى في الأرباح هي قاعدهم العملية. إنـي أسمـي هذه الفلسفـة وهذه الممارسة عنـفاً بنـويـاً.

الأستاذ الدكتور مصطفى العبد الله الكفري

كلية الاقتصاد – جامعة دمشق

دمشق ص ب 12341 سورية

Prof. Dr Moustafa El-Abdallah Alkafry

Faculty of Economics - University of Damascus

Damascus, Syria, PO Box 12341

Email: [moustafa.alkafri@gmail.com](mailto:moustafa.alkafri@gmail.com)